تفسير أبي السعود

5051 - سورة النساء عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار أي انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم أو من ادعائهم التكفير مع استحالة أن يغفر للكافر شيء من كفره أو معاصيه و فيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه و بعمله .

بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة كذبهم و بطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين إذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن و المساوي و قد وصفهم الله بما هم متصفون به من القبائح و أصل التزكية نفى ما يستقبح بالفعل أو القول .

ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها و إيدانا بأنها غنية عن الذكر أي يعاقبون بتلك الفعل القبيحة و لا يظلمون في ذلك العقاب .

فتيلا أي أدنى ظلم و أصغره و هو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة و الحقارة و قيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم شيء أصلا و لا يساعده مقام الوعيد .

انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب إما على التشبيه بالطرف أ و بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه و الأخفش و العامل يفترون و به تتعلق على أي في أي حال أو على أي حال يفترون عليه تعالى الكذب و المراد بيان شناعة تلك الحال و كمال فظاعتها و الجملة في محل نصب بعد نزع الخافض و النظر متعلق بها و هو تعجيب إثر تعجيب و تنبيه على أن ما ارتكبه متضمن لأمرين عظيمين موجبين للتعجب ادعائهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه و افتراءهم على الله سبحانه فإن ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله و ارتضاه إياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا أشنع من الأول جرما و اعظم قبحا لما فيه من نسبه سبحانه وتعالى الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر و ارتضائه لعباده و مغفرة كفر الكافر و سائر معاصيه وجه النظر الى كلفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذبا للبالغة في تقبيح حالهم .

وكفى به أي بافتراءهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام .

إثما مبينا ظاهرا بينا كونه إثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم أشد إثما من كل كفار أثيم أو في استحقاتهم لأشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساع له لإخلاله

بتحويل أمر الافتراء فتدبر .

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر من إيتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله D .

يؤمنون بالجبت والطاغوت اسئاف مبين لمادة التعجب مبنى على سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حين ينظر إليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى فقيل أصله الجبس وهو الذي